اللغة العربية والتواجد الحضارى

هل يمكن أن نتخيل مجتمعا بلا لغة؟ هل يمكن أن نتخيل العلاقات بين أفراد ذلك المجتمع؟ هل يمكن أن نتصور إنجازات هذا المجتمع؟ أسئلة صعبة، لأن اللغة هى الإتصال، وبدونها ينقطع هذا الحبل المتين من التواصل بين أفراد المجتمع، سواء على مستوى الحاضر أو على مستوى نقل التجارب الحياتية والخبرة المعرفية من الماضى على الحاضر، وعلى ذلك ليس هناك مستقبل، باختصار إن إختفاء اللغة يعنى إختفاء المجتمع، أو بمعنى آخر إن إختفاء اللغة يعنى اللامجتمع، لأنه بغير اللغة ليس هناك هدف أو خطة قريبة المدى أو بعيدة المدى، أو نظام حياة ومن هنا لا توجد ثقافة أو حضارة.

لقد أثبت العلماء فى تجاربهم إن عالم القرود قادر على التعلم، وقادر على الملاحظة، وقادر على تقليد الآخرين، وقادر على عمل حلول إبتكارية لبعض المشكلات التى يواجهها، ولكن على الرغم من ذلك فإن القرود غير قادرين على نقل خبرتهم وما عرفوه لباقى القرود، لكى يستفيدوا مما تعلموه، والسبب الأساسي هو عدم وجود لغة تستطيع أن تحمل تيارات الوعي من جيل إلى أخر، وأن تصنع ثقافة، وهذا بخلاف الإنسان الذي ميزه الله بالعقل، وبمعرفة الأسماء، باللغة التي تستطيع التواصل

والتسامي والتكامل في تنمية التجربة الإنسانية، وأيضاً في نقلها للآخرين، وبالتالي يحدث التطور و التقدم للمجتمع الانساني.[1]

واللغة العربية، لغة الضاد، اللغة هى وسيلتنا للتفاهم مع بعضنا البعض، هى أداة التعبير عن المعانى التى يعبر بها البشر عما فى نفوسهم وأفكارهم من خلال الكلام الذى يتكون من الإسم والفعل والحرف ومن مجموعه تتكون الصور والمعانى والأحاسيس ذات الدلالات المفهومة بين المرسل والمستقبل ـ لأن الأصوات وحدها دون رموز مشتركة بين المتحدث والسامع لا قيمة لها ـ ومن هنا تصبح اللغة عاملا أساسيا فى توثيق الصلات الإجتماعية بين البشر، وأيضا فى المحافظة على المجتمع ذاته، لأنه من خلال اللغة خلق الإنسان نسقا وقانونا ينظم حركة المجتمع.

دلالة مضيئة أن يكون عام 2006 عام اللغة العربية، هذا الهدف النبيل صنع حراكا فى محيط حياتنا الثقافية والعلمية، مؤتمرات عن اللغة العربية، برامج فى الإذاعة والتلفاز، عديد من المقالات فى الصحافة اليومية والأسبوعية، جمعيات أهلية تقيم الندوات، هذا شيء طيب، هذا شيء جميل، ولكن ما نريده للعربية ليس إحتفالا موسميا مرتبطا بمؤتمر أو مهرجان أو برنامج أو ندوة، وإنما أن يكون الإهتمام بالعربية مستمرا ومتطورا من أجل هذه اللغة التى تحافظ على كيان كل الناطقين بالعربية.

تواجه اللغة العربية تيارات متعددة من الثقافات المختلفة بلغاتها المختلفة في عصر العولمة، هذا العصر الذي يحمل سمات جديدة تنطلق من ثورة

[1] انظر ثريا عبد الله: اللغة والمجتمع، دار المعارف، كتابك 152، 1977.

المعلومات، ثورة التكنولوجيا، ثورة الحداثة في الفنون، ثورة العلوم البيولوجية...، هذا العصر الذي فتح تيارات كثيرة من التفاعل الجبري مع وسائل مختلفة ومتعددة منها المذياع، التلفاز، دار الخياله، الصحافة، الحاسوب، الإنترنت، الفضائيات....، إن الفواصل القديمة بين الشعوب أصبحت غير موجودة، وباتت المجتمعات منفتحة على بعضها البعض، ومن ثم أصبحت الكلمات والجمل متداخلة بين اللغات المختلفة فكلمات أمريكية، وإنجليزية، وفرنسية، وإيطالية، وغيرها نسمعها ونعرفها بلغتها الأصلية وبنفس طريقة النطق في بلدها الأم ممتزجة مع العربية، لا بأس من تلاقح الثقافات، فهذا أمر تاريخي ومقبول، ولكن أن يتحول التلاقح إلى سيطرة وإلى محاولة طمث اللغة العربية، فهنا يجب على أهل اللغة العربية أن ينتبهوا لهذا الخطر الواقع من انتشار مفردات وجمل من لغات مختلفة، لمحاولة هضم اللغة كمستهدف لضياع هويتها وتبني ثقافة مغايرة لا تتناسب مع قيم العربية، والأهم من هذا سيطرة اللغة الإنجليزية على مفردات الحياة المعاصرة لأنها الأكثر إنجازاً وتفوقا في مسيرة العلم – وهذا حق نقره، ودرس على أهل العربية الاستفادة منه – لقد تقدم أهل الإنجليزية علينا بالعمل الدءوب في تطوير آليات المنهج العلمي ونجحوا في ذلك، وأيضاً أقاموا معاهد وجامعات ومؤسسات عملها الأساسي تطوير مفردات اللغة الإنجليزية لمستجدات العلوم والفنون وفي نفس الوقت متطلبات الحياة اليومية، صنعوا ذلك بجدية وصبر وقناعة، إن التطور سنة الحياة، وبالتالي يجب على اللغة أن تتطور ولا تقف جامدة متحجرة أمام متغيرات العصر، هكذا كانت القناعة لديهم.

وتواجه العربية أيضا صراعا مع الشارع العربي الذي يفضل أن يستخدم الأسماء الأجنبية سواء في أسماء المحلات، أو استخدام الاسم الأجنبي للمنتجات التجارية، والمبرر في ذلك أن الاسم الأجنبي يعطي للمنتج صفة الجودة – حتى وإن كانت البضاعة غير جيدة ولا مستوردة من الخارج – وهذا الاسم الأجنبي يسهم في التحكم في السعر، بل ويجعل السعر أغلى، الاسم الأجنبي عنوان للرقي والمعاصرة في المظاهر الحياتية، وهذا يتمشى مع عصر الإنترنت والفضائيات. إن اللغة العربية في هذه الأيام تمتزج معها عشوائيات لغوية تشوهها، وتطرح معاني وأسماء بلا معنى، فهي بحاجة إلى قانون يصونها، فهل من الممكن استصدار قوانين تحمي اللغة العربية، وأيضا تحمي المستهلك من هذا التجاوز الذي يحاول أن يزيح لغتنا جغرافياً واقتصاديا ومعرفيا، فمن الضروري المحافظة على هيبة اللغة العربية.

وأذكر هنا موقف الرئيس الفرنسي " جاك شيراك " حينما خرج غاضبا من قاعة المؤتمر الأوروبي فى إحدى الإجتماعات عام 2006، والسبب في ذلك أن أحد رجال الأعمال الفرنسيين قال كلمته باللغة الإنجليزية وليس الفرنسية – لغته الأصلية – إن هذا المشهد يعطى دلاله عن ضرورة إحترام اللغة الأصلية بل والتعصب لها، ومن الضرورى تقديم هذه اللغة ـ الأم ـ فى المحافل الدولية.

اللغة تحيا بأهلها، وعلى أهل اللغة ضرورة أن تكون اللغة العربية مرنة فى التعبير عن لغة العلم والمعرفة ولمسميات حديثة فى شؤون الحياة والحضارة، لأن اللغة تتاثر بالمجتمع والظواهر الإجتماعية فيه، وكان

ومازال من أهم أهداف مجمع اللغة العربية والذى أفتتح عام 1932،" الحفاظ على سلامة اللغة العربية وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون ومستحدثات الحضارة المعاصرة، والعمل على وضع معجم تاريخى لغوى، والعناية بدراسة اللهجات العربية الحديثة فى مصر وغيرها من البلاد العربية إصدار مجلة تنشر بحوثا لغوية، والعناية ايضا بتحقيق بعض نفائس التراث العربى التى يراها ضرورية لأعماله ودراساته اللغوية ولوضع المعاجم"[1] ، هذا واحد من المؤسسات الهامة فى عالمنا العربى، ولكن الدور أيضا وفى نفس الوقت يقع على الجميع الأسرة والمدرسة والجامعة ووسائل الإعلام للإرتقاء بهذه اللغة.

يقول العقاد فى كتابه اللغة الشاعرة " ومن واجب القارىء العربى إلى جانب غيرته على لغته أن يذكر انه لا يطالب بحماية لسانه ولا مزيد على ذلك، ولكنه مطالب بجماية العالم من خسارة فادحة تصيبه بما يصيب هذه الأداة العالمية من أدوات المنطق الإنسانى، بعد أن بلغت مبلغها الرفيع من التطور والكمال، وأن بيت القصيد هنا أعظم من القصيد كله...لأن السهم في هذه الرمية يسدد إلى القلب ولا يقف عند الفم واللسان، وما ينطقان به فى كلام منظوم أو منثور."[2] اللغة مرآة الأمة، ترتفع برفعتها، وهي تواجه تحديات كثيرة من داخلها ومن خارجها، اللغة بحاجة إلى الدراسة والتنمية فى أساليبها ومفرداتها ومصطلحاتها، من أجل روح جديدة، لعصر جديد من المعرفة الإنسانية، واللغة أحد مفرداته للتواجد الحضاري.

[1] د. محمود حافظ: مجمع اللغة العربية موجز عن تاريخه وانجازاته، روزاليوسف، 2007، ص 6.
[2] عباس محمود العقاد: اللغة الشاعرة، نهضة مصر، 2004، ص5.

تحديات اللغة العربية

العلاقة بين اللغة والمجتمع علاقة جوهرية، كالعلاقة بين الروح والجسد فى الإنسان، والشكل والمضمون فى العمل الفنى، إنها إرتباط وثيق، كل منهما يؤثر ويتأثر بالآخر فى وحدة عضوية، وكما يقول د. على عبد الواحد وافى ـ فى كتاب " اللغة والمجتمع " ـ " اللغة ليست من الأمور التى يصنعها فرد معين أو أفراد معينون، وإنما تخلقها طبيعة الاجتماع، وتنبعث عن الحياة الجمعية، وما تقتضيه هذه الحياة من تعبير عن الخواطر، وتبادل للأفكار، وكل فرد منا ينشأ فيجد بين يديه نظاما لغويا يسير عليه مجتمعه، فيتلقاه عنه تلقيا بطريق التعليم والمحاكاة، كما يتلقى عنه سائر النظم الإجتماعية الأخرى، ويصب أصواته فى قوالبه، ويحتذيه فى تفاهمه وتعبيره."[1]

واللغة من خلال ذلك المنطلق ظاهرة اجتماعية، تتأثر سلبا وإيجابا بالظواهر والمتغيرات الإجتماعية الآخرى التى تنتج من داخل المجتمع، أو التى تتوافد على المجتمع من الخارج، وعلى ذلك أيضا هناك العديد من العناصر المتداخلة والمتشابكة التى تؤثر على معرفة وإتقان وتطوراللغة العربية، تلك اللغة التى تشكل عقل ووجدان هذه الأمة، وسوف أتحدث هنا عن عنصرين هامين فى هذا المقام.

[1] د. على عبد الواحد وافى: اللغة والمجتمع، دار نهضة مصر للطبع والنشر، 1971، ص 4.

العنصر الأول هو الأسرة التى تعتبر الركيزة الأساسية فى تكوين الطفولة والنشء، فتأثير الأب والأم والأخوة فى الأسرة له أبعد الأثر فى بيئة سليمة للتعرف على اللغة العربية معرفة صحيحة، وأيضا خلق بيئة ثقافية ترتقى باللغة وتساعدها على النمو من خلال النطق السليم، وتصحيح الأخطاء، بالإضافة إلى اعتبار الكتاب عنصرا جوهريا فى تكوين الأسرة مثل المأكل والملبس، فالكتاب غذاء العقل والروح، إن هذه البيئة المدركة لدور اللغة فى الإرتقاء بالشخصية وأيضا فى تكوين مفردات التفكير المنطقى والعلمى للعقل تساعد كثيرا فى النضج للغة العربية لدى أهلها، وعلى النقيض من هذا هناك ظاهرة خطيرة تتمثل فى محاولة بعض الأسر أن تجعل من تعلم اللغة الأجنبية فرضا واجبا وضروريا، بل ويعلو ويسمو على تعلم اللغة الأم وهى العربية، وكأن الإنطلاق إلى عالم النجاح والتفوق مرهون بإتقان تلك اللغة، ولا يهم بعد ذلك أى شىء، وهنا تنشأ مشكلة ، حيث يتنازع الطفل أو الشاب صراع بين اللغة الأم واللغة الثانية، وتحت ضغط الإلحاح تتفلت أبجديات اللغة الأم من حيث المنطوق الصوتى لحروف اللغة، وكذلك المنظور الرسمى لكتابتها عن دائرة الإهتمام العقلى والوجدانى، ومن هنا تختفى اللغة الأم فى عباءة اللغة الجديدة، وتنتصر اللغة الجديدة بثقافتها على اللغة القديمة، لأن اكتساب اللغة الثانية يتوقف على عوامل بيئية تساعد على التفاعل مع هذه اللغة، وأيضا عوامل وراثية وعقلية للإنسان تمكن المتعلم من الفهم ومعرفة صوتيات وقواعد اللغة الآخرى وكيفية التعامل بها فى المواقف والأحداث المختلفة، والبيئة فى هذا الإطار مساعده، ومن ثم تصبح اللغة الجديدة ذات نفوذ قوى فى فرض ثقافتها وحضارتها، نعم إن العالم الذى نعيشه اليوم بكل ثوراتة العلمية المتزايدة السرعة، وبكل تنوعه الثقافى والمعرفى

يتطلب منا أن نعرف على الأقل لغة ثانية ـ بشكل متقن ـ إلى اللغة الأم لكى ننفتح بها على العالم الآخر، ونطل بها على الثقافات المختلفة، لكى نتعرف على الحضارات، إن هذا الإنفتاح الثقافى لفهم الآخر واحده من ضروريات الحياة المعاصرة، وذلك لصنع جسر من التفاعل الثقافى مع الآخر، ولكن هناك شرط لتعلم تلك اللغة الثانية، وهو آلا تضيع حق اللغة العربية فى معرفتها وتذوقها وفهم جمالياتها، لأن اللغة العربية هى دستور الأمة وهى أيضا الوعاء الثقافى والحضارى لها.

لن أتحدث عن العلاقة بين العامية والفصحى، ولكنى سوف أتطرق إلى لغة آخرى تخلقت من ظواهر إجتماعية فى بيئتنا العربية وهى مستحدثات للغة العامية التى تعطى كلمات، ومفردات ، وجمل وتراكيب غير منطقية، ولكنها أصبحت ذات دلاله بين المرسل والمستقبل، وبخاصة فى جيل الشباب، هذه الركاكة الصوتية، وهذا التشويه لمفردات الكلام، والجمل العشوائية أصبحت ظاهرة يجب محاربتها وعدم السماح لها بالتواجد فى محيط الحديث اليومى، وللأسرة دور كبير فى المساهمة لتصحيح هذا التوجه الركيك وتحويله إلى سلامة فى النطق وجمال وذوق فى الكلمة والعبارة.

أما الأسرة الثانية التى يقع عليها واجب كبير فى تطوير اللغة، وفى المحافظة عليها، إنها أسرة مجمع اللغة العربية ـ مجمع الخالدين ـ حيث سدنة اللغة ومحبوها وعاشقوها، وإذا كان لمجمع اللغة العربية إسهامات كثيرة فى حراسة اللغة، والعمل على تطويرها أمام فيضان المعرفة، مثل مناقشة قضايا : " اللغات فى عصر العولمة " ، " الثقافة العربية فى

عصر العولمة " تيسير النحو "، " العربية لغة المعمورة الفاضلة فى القرن الحادى والعشرين "، " إنشاء مرصد لغوى للمصطلحات "، " التخطيط اللغوى ودوره فى تطوير اللغة العربية "، " اللغة العربية وتطور الحاسوب" ـ تطويع الحاسب الآلى للغة العربية وبحث المشكلات الناتجة عن إستخدامه ـ وعمل معاجم لمصطلحات فى الهندسة والنفط، والفيزيقا، والأنثروبولوجيا، والإقتصاد، والفلسفة الإسلامية، والطب، والزراعة وغيرها، إلا أنه كان لمجمع اللغة العربية فى الشهر الماضى إضافة مضيئة ـ تتوج ما أنجزه ـ وذلك فى مؤتمر المجمع فى دورته الثانية والسبعين مارس 2006 والذى كان موضوعه الرئيسى " المعجم التاريخى للغة العربية "[1] والذى يعتبر نقطة تحول بالنسبة للمؤتمرات السابقة، لأن " المعجم التاريخى للغة العربية " يعتبر علامة هامة فى تاريخ مجمع اللغة العربية، من أجل دعم الجهود التى بدأت فنيا وتنظيميا لتسجيل تاريخ اللغة العربية وثقافتها عبر العصور فى مختلف البلدان، وكذلك تفعيل القرارات والتنظيمات التى صدرت بشأنه، وهذا للتحديات التى تواجهها اللغة العربية، فمن الضرورى أن يكون هذا المعجم كنزا معرفيا عصريا ومعينا للمشتغلين باللغة بشكل خاص، وأيضا لأهل اللغة بصورة عامة، وعلى سدنة اللغة وحماتها ورجالها أن يحتشدوا لهذا العمل العلمى الجلل، الذى يتحدى لغة العصر بتطوراتها، ويتحدى أيضا الركاكة والضعف والوهن فى المفردات والجمل المنتشرة والمستحدثه التى أصابة بيئتنا العربية، وذلك من أجل أن تعود للغة العربية مكانتها بين الأمم وفى المحافل العلمية والثقافية، وتصبح اللغة العربية بوتقة تنصهر فيها منجزات الحضارة، إن هذا المشروع هو مشروع النهضة العربية.

[1] مؤتمر مجمع اللغة العربية فى الدورتة الثانية والسبعين، 20 مارس – 3إبريل 2006، القاهرة.

ولعل من أهم الموضوعات التى يجب أن يلتفت إليها أهل العربية هو العمل على دعم الهيئات غير العربية المعنية بتعليم اللغة العربية فى بلادها ماديا وأدبيا، وتوثيق العلاقات بيننا وبينهم بما يحقق للعربية الإنتشار والإزدهار، وخير دليل على ذلك أن إقتراح فكرة المعجم التاريخى كانت بمبادرة المستشرق الألمانى فيشرعضو المجمع الراحل، وعاشق اللغة العربية، ولكن جهوده توقفت نتيجة الحرب العالمية الثانية، وعدم قدرته على الإتصال بالمجمع، ثم بعد ذلك كان رحيل هذا المستشرق، لكن تظل الفكرة " كتلة منيرة " فى محراب اللغة العربية منذ أكثر من خمسين عاما، وعلى أهل العربية أن يستنيروا بهذه الفكرة، وأن تأخذ حيز التنفيذ بشكل عملى وعلمى، وتفعيل القرارات إلى برامج عمل، لأن الوقت لا ينتظر، ولأن إيقاع سرعة التطور لمنظومة الحياة فى كل جوانبها شديدة السرعة، وعلى الأمة العربية أن تلحق بالركب الحضارى.

إن قضية اللغة العربية ليست قاصرة على هاتين الأسرتين فقط، وإنما تمتد إلى أسر كثيرة، المدرسة والإذاعة والتلفاز وجمعيات المجتمع المدنى وغيرها، ودور هذه المؤسسات دور حيوى وجوهرى فى تفعيل إستخدام اللغة العربية إستخداما صحيحا وفى المحافظة عليها حتى تصبح العربية لغة العلم والعالم كما كانت فى عصورها المزدهرة، لا أريد أن أتحدث عن الماضى البعيد، علينا أن نبدأ الآن، لآن المستقبل يبدأ الآن.

الدكتور محمود حافظ نجم في سماء مصر

دعوة كريمة من المجمع العلمي المصري لحضور ندوة عن الموسيقي في حياتنا المعاصرة في نهاية يناير الماضي تلقيها د. رتيبة الحفني، الجمهور جمع من علماء مصر يستمع في وقار لدور الموسيقي في الارتقاء بوجدانيات الإنسان، وعن علاقة الموسيقي بمنظومة المجتمع كيف تتأثر به سلبا وإيجابيا من خلال الكلمة والصوت والنغمة والحركة والصورة الكلية للعمل الفني، إنها علاقات متبادلة بإيقاعات متباينة، ما ألطف أن يتجمل العلم بالفن وأن ينظم الفن بالعلم، فكلاهما وجهان لعملة واحدة، جدد هذا اللقاء تداعيات وذكريات حينما كنت أدرس في جامعة ليدزLeeds University بإنجلترا حيث كان هناك مؤتمر للرياضيات عام 1988، وألقت د.روث لورانس تلك الفتاة ذات السبعة عشر ربيعا، نابغة الرياضيات والحاصلة علي درجة الدكتوراه من جامعة أكسفورد في هذه المرحلة العمرية محاضرة أذهلت الأساتذة والحاضرين، إنها عبقرية في التحليل، وقوة باهرة في أسلوب الحوار والمناقشة، أردت أن اقترب من عقل هذه الشخصية وأعرف كيف تفكر.

وسألتها عن دور العلم، وكانت الإجابة بأن العلم هو قاطرة المجتمع للأمام ولكن الفن يلعب دورا هاما لهذه المساحة الرحبة للخيال، وقالت بإن العلم لكي يؤدي رسالته علي أكمل وجه يجب أن يقترن بالفن، وعلى الفن أيضا

أن يأخذ بقواعد العلم فكلاهما يحتاج للآخر. ذكرتني روث بمقولة أينشتاين حينما قال إن الخيال أهم من المعرفة، وأنا أري أن كليهما نحتاجه وما أجمل أن يتحلي العلم بالخيال ولولا أن الإنسان أطلق لخياله العنان ما استطاع أن يصعد للقمر ويذهب للمريخ.

كان يدير الندوة في هذه الأمسية الممتعة عالم جليل ذو بسمة وضاءة وتواضع جميل، ولغة رفيعة، وفكر متقد، إنه واحد من علماء مصر الأجلاء الذين يعملون ليل نهار لرفعة وتقدم وازدهار هذا الوطن ما أجمل هذه المنارة العلمية في عامها الخامس والتسعين ما أجمل هذه المنارة تتحرك بدأب وتشع نورا يهدي كل طلب للعلم والمعرفة مثل النحلة النشطة التي تعمل منذ الصباح الباكر في بستان مجمع اللغة العربية ثم تنتقل إلي الجامعة، وفي المساء في بستان المجمع العلمي المصري، هذا فضلا عن لقاءات الأصدقاء والتلاميذ والتي هي أيضا لقاءات حياتية تهتم بقضايا أبناء الوطن في ثوب علمي ، إنها حياة النظام والانضباط والإنجاز.

إن هذه النحلة إنما هي العالم الكبير د. محمود حافظ، شيخ علماء مصر والعالم العربي، الأستاذ بكلية العلوم جامعة القاهرة، رائد علم الحشرات، الحائز علي جائزة مبارك في العلوم لعام 1999، الحائز علي جائزة الدولة التقديرية في العلوم عام 1977 ووسام الاستحقاق من الطبقة الأولي عام 1978 وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولي عام 1981 رئيس المجمع العلمي المصري ورئيس مجمع اللغة العربية (مجمع الخالدين) نشر مايزيد عن مائة وستين بحثا في المجالات العلمية

المتخصصة في مصر والخارج، مئات المؤتمرات العلمية طواف حول العالم لندن، باريس مدريد واشنطن ، طوكيو، فلورنسا، بكين ، الخرطوم، دمشق، تونس ... عضو المجلس القومي للتعليم والبحث العلمي، رئيس الاتحاد العلمي المصري.. عضو وزميل العديد من الأكاديميات العلمية الدولية منها الجمعية الملكية للعلوم لندن، اللجنة الدولية للعلم والتكنولوجيا للدول النامية، أسهم في ترجمة نحو خمسة آلاف مصطلح في مختلف التخصصات العلمية لأنه مترجم حاذق يملك نواصي كل من اللغتين العربية والإنجليزية، وذلك بإشراف الاتحاد العلمي المصري والمجلس الأعلي للبحث العلمي مع بعض علماء المجمع ، عشرات الكتب العلمية المؤلفة، أشرف علي أكثر من ثمانين رسالة ماجستير ودكتوراة... هذا نزر يسير في رحلة هذا العالم الحافلة بالإنجازات العلمية التي لايتسع المقام هنا لذكرها لأنها تحتاج إلي مجلدات كثيرة ولكن من منظوري إن مسيرة هذا العالم الجليل ذات دلالات ناصعة أرغب أن أتوقف عندها:

أولا: قيمة المواطنة بمعناها العميق والواسع وبكل مافيها من إحساس بالانتماء للأسرة العلمية في داخل الجامعة وخارج أسوارها، وأيضا للأسرة المصرية ككل، يعتز ويتمسك بها ويعمل على تطويرها ورفعتها في الوطن العربي والمحفل الدولي إنه يعمل من أجل هذا الوطن.

ثانيا: إن د. محمود حافظ لم يبعثر وقته هباء، لم تتسرب الأيام والساعات والثواني من بين يديه كما يتسرب الماء وإنما أدرك أن إيقاع الزمن الذي نعيش فيه الآن إيقاع سريع وهو يختلف عن الأزمنة السابقة، لأن السباق علي أشده في العلوم والتكنولوجيا وتطبيقاتها لذلك أخذ يعمل بجهد متميز مستفيدا بكل ثانية من وقته، لأن الوقت شئ هام جدا، يقولون الوقت من ذهب، يقولون الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك. ود. حافظ يدرك أن

الوقت لايمكن تقديره ومعادلته بشئ، لأن الوقت هو الحياة إن الوقت عنصر من العناصر الكونية التي منحها سبحانه للإنسان ومن ثم يجب أن نستثمره في كل ماهو مفيد وخير، لذلك كان وقته بين المحاضرات والأبحاث والندوات والمؤتمرات.

ثالثا: إن هذا العالم لم يأخذ بلغة الاستسهال التي تتعامل مع قشور وعمومية المعلومات في الموضوعات التي يبحثها على طريقة خذ معك Take Awayوإنما ينهج نهجا علميا مدققا وباحثا في أمهات الكتب وتحت الميكروسكوب في داخل المعمل يحاول اكتشاف الحقيقة حاملا مسئوليته العلمية بأمانة العلماء بكل الجد والثقة.

رابعا: إطلالته على الثقافات الأخرى جعلته واسع المعرفة وعلما من أعلام الفكر والثقافة في عالمنا الذي يتسم بالتعددية الثقافية فالعالم يحتاج إلى الحوار مع الثقافات المختلفة لكي يبدع فكرا جديدا..

خامسا: تواصل الأجيال حيث كون د. محمود حافظ مدرسة علمية تخرج منها أجيال كثيرة من العلماء نهلوا من علمه الواسع وعملوا معه في مشروعاته البحثية، لم يبخل عليهم بمعرفته الموسوعية ولم يدخر جهدا لمساعدة من يريد المساعدة إنها المجموعة الحافظية HAFEZ GROUP إنها الاستاذية التي جوهرها العطاء ويقول أحد تلامذته عالم الجيولوجيا د. حافظ شمس الدين " وتستمر رحلة العناء الجميل مع الدكتور محمود حافظ في معمله وصومعته لينقب ويبحث ويختزن في ذاكرته اللامعة وذهنه الخصيب وقريحته الوقادة حتي صار بحرا تتلاطم أمواجه بضروب العلم واللغة والمعرفة وصارت بحوثه مرجعا لكل باحث ودارس.. فهو بحق عبقري بارع في وقت عزت فيه العبقرية، وقد لا

أبالغ حين أقول إن الدكتور محمود حافظ عشر مواهب في شخص واحد."[1]

ويقول شعرا د. محمد يوسف حسن يصف سمات هذا العالم :

اليوم عيد مشرق ومجيد للشعر فيه ترنم ونشيد
لمعلم بلغ الذرا في علمه في الحق ثبت، فارس، صنديد
هو حافظ للعلم، أسطون له ثبت بعيد الشأو فيه، وطيد
هو صادق في الوعد ملتزم به ووعوده دين عليه أكيد
دمث السجايا، والشمائل عذبة لبق الحديث، ومعجب، وودود
فطن البديهة والفكاهة عنده فن جميل مابه تقليد
في العلم بحر، في البلاغة ساحر أستاذ جيل، قيم، وعميد [2]

ما أسعد مصر بهذا الطراز الفريد من الرجال الذين يغيرون من صفحة الحياة إلى الأجمل والأفضل إنهم القدوة الحقة في مسيرة الحياة.. دعاء من القلب أن يديم على عالمنا الصحة والسلام، ويديم عليه أيضا نعمة العطاء للعلم وللغة العربية هذه اللغة الكريمة، وللوطن العزيز مصر.

[1] د. حافظ شمس الدين عبد الوهاب: إطلالة على حياة عالم مصرى فى عامه التسعين، دار الجمهورية، 2003، ص 193.
[2] نفسه ص 143، 144.